الملا يحيى المزوري وسقوط أمارة بادينان

القسم الثاني

عبد الفتاح علي يحيى

الصلحاء والمتدينين والزهاد[٥] ، والحقيقة أن جدهم الاعلى كان كردياً ، وربما كان من الاتباع المخلصين للخلافة العباسية ومتصلاً بهم دائماً . . فظن اعقابه أنهم من بني العباس . أن صاحب الشرفنامه يشك في صحة هذا الادعاء بقوله «يروون أن نسب حكام العمادية – على زعمهم – ينتهي الى الخلفاء العباسية . وعلى رواية بعض نقلة الاخبار المتقدمين ، أنه ينتهي الى شخص يدعي عباس كان من مشاهير الاعيان في عصره . . .»[٦] .

● ويقول ريج أنه «نظراً الى قدم أسم العائلة فقد تكون أقدم من الخلفاء العباسيين . .»[٧] ، أما الدملوجي فيقول : أن ارجاع هذه الاسرة الى البيت العباسي غير مسلم به وقد حاول اخرون ارجاعها الى البيت الاموي[٨] والمرحوم أنور المائي الذي ينفي وجود أي صلة نسب لامراء بادينان مع العباسيين يقول تعليقاً على ادعائهم : – أن السبب في هذا الانتساب هو اكتساب الثقة والاعتماد والطاعة ، ومن جهة أخرى فأن الاصوليين والكلاميين شرطوا في الأمام ونائبه أن يكون من قريش[٩] «الائمة من قريش» .

لكي يثبت ويدلل بعض امراء بادينان المتأخرين صحة زعمهم ويرسخوه في اذهان السكان ، كانوا يحاولون دائماً أن يتميزوا في كل شيء عن رعيتهم ، في الاصل والملابس والتصرفات والأكل . . . وأخذ بعض المتأخرين منهم يقلد في حكمه وتصرفاته الخلفاء العباسيين ، ومن مظاهر أثبات عظمتهم وقدسيتهم امام العامة ، الانزواء والاختفاء قدر المستطاع ، يذكر الرحالة ريج الذي زار كردستان عام ١٨٢٠ : أن الأمير البادينى يتمثل بأطوار الخلفاء العباسيين المتأخرين ، اذ يقضي يومه في عزلة ، فيقدم له خادم طعامه ويتركه حتى ينتهي ، وبعد أن يتناول كفايته من الطعام يسوي ما تبقى في الماعون منه كي لا يلحظ أحد من أي جانب تناول طعامه ، ويضيف ريج أيضاً : أن بعض الامراء ومنهم والد الأمير الحالي قد غلوا في التخفي حتى أنهم حجبوا وجوههم . . بنقاب كلما خرجوا في سفرة كي لا تقع النظرات الخبيثة على محياهم ، وتلك عادة جرى عليها المتأخرون من الخلفاء العباسيين[١٠] .

لقد بلغت حرمة امراء بادينان عند البادينى حداً كبيراً بحيث لا يستعمل حاجة ، آنية أو غليوناً أو ألبسة أو سراجاً أو سلاحاً يشبه ما رآه من هذه الاشياء عند الأمير ، كما لم يكن بأستطاعة احد أن يدخل في حضرته مهما تكن مرتبته عظيمة الا بعد أن يأذن له الامير بذلك ، أو يجلس في حضرته الا بعد أن يأذن لمن يشاء ، ولم يكن أحد يرى في نفسه الكفاءة لأن يتزوج بأحدى الاميرات الا أن يكن عالماً عظيماً ذا حسب ونسب[١١] .

أن تصرفات حكم هذه الاسرة وطبيعتها كانت على العكس من امراء بابان وبوتان «مثلاً» الذين اشتهروا بتواضعهم والظهور أمام الملأ ما وجدوا الى ذلك سبيلاً ، وكانت دواوينهم مفتوحة للمراجعين من أبناء الامارة يدخلونها بدون اذن احياناً .

والجدير بالذكر هنا أنه في الوقت الذي كان يتصرف امراء بادينان المتأخرون التصرف المذكور ويترفعون على سكان امارتهم ، ويعدون انفسهم من سلالة عريقة ممتازة ولدت لتحكم ، كان يحكم العراق على مشهد من الناس وبموافقتهم المماليك (١٧٥٠ – ١٨٣١) م ، وكان أمر عزل ونصب امراء بادينان منوطاً بهم أي أنهم كانوا يخضعون ويتلقون الاوامر من المماليك المستجلبين من الخارج والذين لا يعرف عن اصلهم ونسبهم شيئاً ! !

الحقيقة أن هذه الاسرة ما كانت لتستطيع أن تحكم بادينان أكثر من ستة قرون ، لو لم تحط نفسها بهذه الهالة من القدسية لأنها لم تكن تنتمي الى أي من عشائر بادينان ، ولولا خوف العشائر من تأثيرهم الديني وقدسيتهم – الموهومة – لسيطر رؤساؤها على الحكم ، يقول ريج – وقوله لا يخلو من المبالغة : – إنه كان لشخص الأمير البادينى من القدسية ما يحمل العشائر في أشد المعارك على أن يسقطوا السلاح من أيديهم اذا ما أقترب منهم[١٢]! ، ربما كان هذا القول ينطبق على الامراء الاوائل ،

أما المتأخرون فقد فقدوا تلك القدسية ، فكثيراً ما تدخلت العشائر في عزل ونصب بل حتى قتل وسجن بعض الامراء الذين اخذوا يتدخلون في شؤونها أو تضرر الاهلون من نزاعهم على السلطة ، فالرحالة ريج نفسه يعود فيقول : ومع ذلك فأن سلطته «الامير البادينى» معدومة أو قليلة جداً على القبائل المحاربة الشديدة المراس التي تتألف منها رعيته[١٣] .

ففي عام ١٨٠٤ م مثلاً اغارت المزورية على قباد باشا وسجنوه في العمادية ونهبوا أمواله وأموال أقربائه «حتى سلبوهم الثياب وتعدى ضررهم الى حرمهم فسلبوهن»[١٤] .

كما ان ادعاء هذه الاسرة النسب العباسي كان معناه حصر السلطتين الدينية والزمنية بيدهم ، فالامير مصون غير مسؤول وطاعته مفروضة لأن «طاعتهم من طاعة الله» ، وبالرغم من أهتمام الاوائل منهم بفتح المدارس والمساجد وبالعلم والعلماء الذي اقتصر على مركز الامارة تقريباً ، إلا أن نفوذ علماء الدين كان يشكل بالنسبة اليهم مصدر قلق وازعاج ومضايقة ، وهذا يفسر لنا عدم تشجيعهم الطرق الدينية ، واعدام اسماعيل باشا عام ١٧٨٢م العلامة احمد الزيباري وتلميذه شعيباً وتعليق جثتيهما ثلاثة أيام على باب العمادية ، بحجة أنهما كانا سبباً في الفساد والخلافات بينه وبين أحد الامراء من اقربائه[١٥] والحقيقة أنهما انكرا عليه افعاله السيئة تجاه الرعية . أما الشيخ الجليل نور الدين البريفكاني فقد انزوى في قريته بريفكا وابتعد عن امراء بادينان ، وتجلى كرهه لهم في وصيته لأتباعه بالابتعاد عنهم ، وفي الرسائل التي وجهها لهم ولوالي الموصل يحيى الجليلي وبعض الاغوات الاكراد يهددهم بعقاب الله ويوصيهم بالتوبة وعدم الاعتداء على العباد ، لذا حاول الحكام والولاة ارضاءه والاستفادة منه ، لكنه بقي بعيداً عنهم مضحيّاً بالكثير من المطامع المادية[١٦] .

هذا والرسالة التي بعث بها مولانا خالد النقشبندي الى مريده الملا يحيى المزوري دليل آخر على مدى اهمال امراء بادينان شؤون الامارة والمساجد وعلماء الدين بخاصة في العقود الأخيرة من عمر امارتهم ، جاء في الرسالة « . . . وسمعنا أن أكثر قرى عمادية المحمية كانت بها مساجد معمورة بالجماعة والاذكار والآن أما تعطلت وأما خربت ، فما يتردد اليها من المصلين ديار ، فأن امرتم ولو على لسان هذا المسكين أن يجتهد مخلصنا زبير باشا كان الله له في تجديد رسومها يكون لكم أجر عظيم . . .»[١٧] .

ولم يرعَ امراء العمادية للملا يحيى المزوري الذي كان على جانب عظيم من السلطة الدينية ، بسبب احراز الطريقة النقشبندية نفوذاً كبيراً على العشائر ، والعشائرية لأنتمائه الى رؤساء عشيرة المزوري عمدة عشائر بادينان والتي كانت تتدخل دائماً في شؤون الامارة وكان بأستطاعتها أن تعزل وتنصب الامراء .

وبلغ عدم احترام امراء بادينان لمشاعر رعيتهم أن اسماعيل باشا في عام ١٧٩٠ – ١٧٩١ ولأسباب سياسية تدخل في شؤون الطائفة اليزيدية وذلك بعزل وقتل ونصب امرائها وبذر الشقاق بينهم خلافاً لتعاليم الطائفة الدينية .

أن امارة بادينان لم تلعب دوراً متميزاً في التاريخ الكردي كالتي لعبته إمارتا بوتان وبابان من الناحيتين السياسية والثقافية ، فالمصادر التأريخية لا تشير الى قيامها بحركات مهمة ضد الدولة العثمانية والصفوية ، أو تثير مشاكل لها أو بينهما ، ورغم اتصالها المباشر بأمارتي بوتان وهكاري فأنها لم تتأثر بالازدهار الادبي الذي شهدته هاتان الامارتان بخاصة أمارة بوتان على يد الشعراء العظام فقي تيران والحريري وملايى جزيري واحمدي خاني وبەرتوبي هكاري[١٨] . ومن أشهر امرائها الذين نستطيع أن نقول عنهم أنهم لعبوا دوراً متميزاً هم الامراء حسن وأبنه حسين والأمير بهرام باشا الكبير .

استطاع الأمير حسن أن يحافظ على آمارته عندما حاولت دولة آلاق قوينلو «الخروف الابيض ١٤٦٧ – ١٥٠٨» الاستيلاء عليها ، لقد تمكن قائد الاق قوينلو من الاستحواذ على قلعتي عقره والشوش الا أنه عجز من الاستيلاء على قلعة العمادية ، بالرغم من جهوده الجبارة التي بذلها في سبيل ذلك ،

وأضطر أخيراً الى الرحيل عنها[١٩] . ويذكر لونكريك أن الأمير حسن الذي كانت الاختلافات والفتن تمزق امارته اعلن ولاءه للشاه اسماعيل الصفوي ، الذي قضى على سلاطين الاق قوينلو ، بصورة مبكرة فقضى بهذه المناورة على البقية الباقية من الاعتماد على امارة اردلان الكردية التي كانت العمادية تكون قسماً من ممتلكاتها من القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر[٢٠] وأتسعت حدود الامارة بعد هذه الاحداث فشملت امارة «داسن» التي كان مركزها دهوك ومناطق شوش والسليفاني ونيروا والشيخان وعقره وزاخو والسندي أي معظم منطقة بادينان الحالية ، أضافة الى الموصل التي استولى عليها الأمير حسن وعين ابنه حسين حاكماً عليها .

ووقف الأمير حسن على الحياد في معركة جالديران الشهيرة بين العثمانيين والصفويين في آب ١٥١٤ م ، وعلى أثر انتصار العثمانيين اعلن ولاءه للسلطان العثماني سليم الأول «١٥١٢ – ١٥٢٠» وأنتظم في سلك الامارات الكردية التي خضعت بفضل ادريس البدليسي للدولة العثمانية .

زادت اهمية أمارة بادينان في السياسة العثمانية خلال القرنين ، السادس عشر والسابع عشر الى حد أنها عُدّت وحدة سياسية قائمة بذاتها لا ترتبط إلا مع الباب العالي مباشرة[٢١] فبفضل ادعاء امرائها النسب العباسي والخدمات التي قدمها الأمير حسن وأبنه حسين من بعده ، نالت اسرتهم احترام وتبجيل سلاطين آل عثمان خاصة السلطانين سليم وسليمان القانوني وكان الأخير يقدرها كثيراً لذا كان يعطي ولاية الموصل وأمارة سوران لأمرائها احياناً[٢٢] .

توفي الأمير حسن في حدود عام ١٥٣٤ م فتولى حكم الامارة أبنه حسين الذي اشتهر بلقب السلطان و «الولي» ويعد هذا الأمير من أشهر امراء بادينان فقد كان عالماً نبيهاً . . وفي الوقت نفسه كان يتودد للبلاط العثماني ويقوم بخدمات جلى في سبيل ارضاء جلالة السلطان وكسب ثقته فصار بذلك ممتازاً ومحسوداً بين الاقران . . حتى أصبح المرجع الاول والأخير بين حكام وامراء كردستان لا يصدرون الا عن امره ، ولا يتبعون الا نصائحه ومشورته فيما يطرأ من الحوادث والقضايا في شؤون كردستان[٢٣] . لقد قدم السلطان حسين خدمات عظيمة للدولة العثمانية فقد استغله السلطان سليمان القانوني في الهجوم على الامارات الكردية واخضاعها للدولة ، ففي سنة ١٥٣٧ م هاجم السلطان حسين أمارة اردلان فكان سبباً في انهيارها وفي سنة ١٥٤١ هاجم امراء موكري ، كما هاجم أمير سوران سيف الدين الذي استطاع أن يطرد الوالي العثماني من امارته ، وبالرغم من أن الأمير حسين شن حملات عديدة على أمير سوران الا أنه فشل في اعادة تلك الامارة الى قبضة الدولة ، وعندما قتل أمير سوران بخدعة عثمانية الُحقت مكافأة له «اي حسين» بامارة بادينان ، هذا ، واشترك الأمير حسين في سنة ١٥٥٣ م في حروب الدولة العثمانية مع الصفويين ، وفي السنة نفسها ارسله السلطان الى اذربيجان فأنتصر هناك على جيش «سي كان يقصد بغداد ، وكان هذا الأمير دائماً يساعد الدولة العثمانية بخمسة أو ستة الاف محارب عند حاجتها[٢٤] . ويعلق الاستاذ جميل بندي على مواقف واعمال الأمير حسين فيقول : «كان ممن يفخر به الاكراد لولا أنه بذل جهده في سبيل اعلاء شخصيته وتوسيع نفوذ الدولة العثمانية واذلال امته الكردية للحصول على مآربه . . وكان سبباً في أنهيار حكومة اردلان . . .»[٢٥] ويعد المائي عصره عصراً ذهبياً بالنسبة الى عصور هذه الامارة فيقول : – ففي عهده بلغت الامارة منتهى مجدها وغاية تقدمها لأنه نظم امور الدولة وبنى المدارس والمساجد والجسور والخانات ومن أشهر البنايات التي بنيت في عهده مدرسة «قوبان» التي تعد آية ومعجزة في الهندسة وفن العمارة والجمال[٢٦]

كان وفاة السلطان حسين عام ١٥٧٦ م بداية لتدهور الامارة فبوفاته دب الفساد بين ابنائه للأستئثار بالحكم فأدى الصراع الدموي الذي ابتدأ بقتل قباد بك بن السلطان حسين من قبل اخيه بيرام بك وبمساعدة عشيرة المزوري ، ثم قتل بيرام بك على يد أبن أخيه سيدى خان فاولدت هذه الحالة الفساد

والحزازات في النفوس ظلت اجيالاً ، ولم يتوقف النزاع والصراع بين الاخوة وابناء العمومة عند هذا الحد ، بل استمر مما ادى الى انحطاط شأن الامارة ، بل كادت أن تؤدي الى زوالها بضياع مكانتهم في نظر الدولة العثمانية ، فبينما كانوا يتمتعون بأستقلال ذاتي . . . جعلت الدولة امرهم تابعاً لولاة بغداد واودعت أمر عزلهم ونصبهم اليهم [٢٧] وبلغ تدهور الامارة حداً أن ولاة بغداد فوضوا امورها الى ولاة الموصل الجليليين عام ١٨٠٥ [٢٨] .

وفي حدود عام ١٧١٩ م استعادت الامارة شيئا من مكانتها ومجدها بتولي بهرام «بارام» باشا الكبير الحكم الذي يعتبره لونكريك من اعظم حكام العمادية ، لقد رفض بهرام باشا ان يتلقى الاوامر من ولاة بغداد ولم يكترث بأوامر واليها احمد باشا الوزير العثماني في العراق ، واخذ يراجع استنبول مباشرة في شؤونه ، لذلك حرض الوزير ابن عمه على مناوءته ووعده ان يعينه اميراً على بادينان ، وبحجة ان بهرام باشا يريد الثورة على الدولة العثمانية ويخطب بأسمه على المنابر ، ارسل الوزير كهيته «معاون الوالي في جميع الامور» وانضم اليه الامير الباباني فحاصرا العمادية مدة من الزمن ، وثبت بهرام باشا أمام الحصار الى ان دبَّ اليأس والضعف في صفوف المحاصرين ، وبسبب مهاجمة العشائر البادينانية باستمرار جيش كهية بغداد والأمير الباباني ، اضطرت تلك القوات الى عقد الصلح ثم الأنسحاب من بادينان . ويذكر الراهب لانزا الدومنيكي المعاصر لهذا الأمير :- ان بهرام باشا كان مشتهراً بسخائه في تلك الجهات ، وقد ناصبته الحكومة العثمانية العداء عدة مرات ، واثارت ضده اقاربه ومرؤوسيه ، ونصبت له الفخاخ للقبض عليه ، الا انه بدهائه تمكن من الافلات والاعتصام بمدينته الحصينة غير آبه بالاعداء لذلك كان يكره كرهاً شديداً الحكومة العثمانية . . [٢٩] . ويقول المالي عنه بأنه كان متضلعاً في علوم الفقة والدين والحديث والمنطق والفلسفة [٣٠] .

توفي بهرام باشا عام ١٧٦٨ م معقباً اثني عشر ولداً فعمت الفتن والاضطرابات بادينان مرة اخرى بسبب التنافس الاسري على الحكم ، فلم يذق اسماعيل باشا الذي تولى الحكم طعم الراحة بسبب نزاعه المستمر مع اخوته وذويه فكانت ايامه مليئة بالاضطرابات المختلفة ، ويصفه الراهب لانزا بأنه «لم يكن محبوباً من قبل مرؤوسيه لسوء اخلاقه وسياسته» [٣١] حتى انه أعدم اثنين من كبار رجال الدين لانكارهما افعاله . وتدخل في الشؤون الدينية الخاصة بالطائفة اليزيدية .

واثار موت اسماعيل باشا اطماع الخصوم العديدين وجلهم من الاسرة الحاكمة وهم اولاد وابناء اخيه وظلت الحرب الأهلية التي راح ضحيتها «٤٠٠» نسمة وتدمير بعض القرى [٣٢] مستعرة بين الاقارب الى ان قسمت الامارة بين رؤساء الاسرة الحاكمة .

سقوط امارة بادينان

كان سقوط هذه الامارة امراً متوقعاً بعد تنامي النزعة المركزية للدولة العثمانية في السيطرة على ممتلكاتها خاصة في فترة حكم السلطان محمود الثاني «١٨٠٨-١٨٣٩» الذي اراد فرض مركزية متطرفة على ممتلكات الدولة واعادة الحكم المباشر اليها ، ولكن بالامكان تحديد بعض الاسباب التي ادت الى انحطاط شأنها وعملت على انحدارها السريع نحو السقوط منذ زمن .

النزاع والصراع بين افراد الاسرة الحاكمة :- لعل اول الاسباب التي مزقت امارة بادينان وانهكتها هو النزاع والصراع الاسري المفجع بين افراد الاسرة الحاكمة الذي اشتهرت به الامارة [٣٣] اكثر من غيرها ، والحقيقة ان النزاع الأسري الاعمى والحاقد الذي عرفته الامارات الكردية لم يكن سببه انانية وطموح وتفاهة بعض الامراء الاكراد القصيري النظر الذين كان ينتظر كل واحد منهم نكبة الآخر ليعيش على انقاض نكبته فقط بل كانت نتيجة للسياسات البغيضة التي مارستها سلطات الدولة العثمانية ، هذه السياسات التي كانت ترمي دائماً الى تسعير تلك الخلافات وتمزيق كردستان ببذر الشقاق بين امرائها والسعي الى اثارة الفتن والقلاقل في اماراتهم وبين افراد الاسرة الواحدة

وذلك باستمالة ودعم بعضهم ضد بعض واصطناع الاعوان من بينهم واصدار الفرمانات والسكوت على الاخطاء وقطف الثمار اذا اينعت من دون جهد ، ويؤيد هذا لونكريك عندما يقول «كان الشبان من نبلاء الاكراد يعيشون في بغداد كالعادة ، وكانوا يجدون فيها ما يوسع شقة الخلافات بينهم ويزيد من اشتدادها وكانت ثروتهم وكثرة اتباعهم مما يجعل الوالي ووزراءه ينظرون اليهم على الدوام»[٣٤] . .

ان التنافس بين الامراء الاكراد والاسرة الحاكمة الواحدة كان ظاهرة تاريخية طبيعية تؤدي حتماً الى تفوق احدهم وفرض سلطته القوية على الباقين ، لكن عبث الدولة العثمانية بهذا التنافس ادى الى عدم تمتع كردستان او اي امارة كردية بقيادة موحدة قوية ، فاذا اظهر احد الامراء الاكراد قدرة فائقة في السيطرة والحكم قوبل بالدس واثارة الخصوم ضده فيذهب ضحيتها ، فسياسة «فرق تسد» وايقاع التفرقة والفساد وزرع الخلافات وشراء الذمم كانت سياسة ومنهجاً بالنسبة للدولة العثمانية في كردستان باتفاق معظم المؤرخين والكتاب .

ظهور الامارة الجليلية :- كما ان ظهور الامارة الجليلية في الموصل عام ١٧٢٦ والتي كان عليها ان تمارس ضغطاً مستمراً على الامارات الكردية المجاورة لكي تبقى تلك الامارات موالية للدولة العثمانية[٣٥] أثر على مكانة ونفوذ امارة بادينان اقتصادياً وعسكرياً ، فالنزاع بين الامارتين كان يلحق اضراراً بالغة باقتصادياتها ، لأن الموصل كانت ترسل الى العمادية بضائع كثيرة وتستورد منها اشياء اخرى[٣٦] وتعرضت امارة بادينان الى هجمات الجليليين باستمرار ، فقد هاجمها مثلاً حسين باشا الجليلي عام ١٧٤٠ م ونهب الكثير من قرى الشيخان ونافكر «ناوكر» وجبل مقلوب وعقرة ، وفي عام ١٧٧٩ م توجه عبدالباقي الجليلي الى العمادية بجيش كبير وحاصرها بعد ان خرب ونهب القرى التي مرَّ بها وقتل الكثير من اهلها ، لكنه لم ينل من العمادية ، ولدى عودته اعترض جيشه قوة من العشائر عند قرية «لومانا» فشتت جيشه وقتلته[٣٧] .

واتخذ الصراع والنزاع بين الامارتين طابعاً اقليمياً عنصرياً في عهد نعمان باشا محمود باشا الجليليين والأمير البادينى زبير باشا من عام ١٨٠٧ وحتى عام ١٨٠٩ ، حيث اشتبكت الامارتان في معارك طاحنة قرب قرية «الوكا» ومنطقة «كشاف» عند الزاب الكبير[٣٨] ورغم وضوح خط الحدود بينهما والذي كان يبدأ من نقطة في شمال «اسكي موصل» على شاطئ دجلة ، ثم يمتد شرقاً الى جبل القوش فجبل باعذرا حتى تلتقي بضفاف نهر الكومل ، فقد ظل النزاع مستمراً بينهما ، بسبب النزاع على ادارة قرى سهل القوش خاصة الموقوفة على دير الربان هرمز ، وامارة الشيخان الغنية بمحاصيلها الزراعية ، فالداسنية «اليزيدية» كانوا يزرعون الاراضي الممتدة من القرى الواقعة على جانبي الزاب الكبير «زبى بادينا» شرقاً وحتى الشيخان والقوش وضفاف نهر دجلة غرباً ، فالنزاع كان اقتصادياً بالاضافة الى محاولة الاستفادة من قابليات الداسنيين القتالية في حروبهم .

وبسبب كثرة اتصال الجليليين بدار السلطنة في استنبول وقدرتهم على تقديم الهدايا ودفع الاموال ، غدا وكلاؤهم في استنبول وبغداد اقوى نفوذاً من امراء بادينان ، فأناطت الدولة بهم أمر امارة الشيخان الداسنية واستطاعوا ان ينتزعوا قرى سهل القوش ودير الربان هرمز من امارة بادينان ، بل ان والي بغداد علي باشا فوض في عام ١٨٠٥ امور العمادية الى والي الموصل محمد باشا الجليلي .

لم يرض امراء بادينان الحاق امارة الشيخان بالموصل لأنهم كانوا يرون انفسهم أحق منهم ، فسكان المنطقة من الناحية العنصرية واللغوية يعدون بادينانيين ، ويظهر من الوقائع التأريخية ان حكم الجليليين لامارة الشيخان لم يدم طويلاً وان امارة بادينان استعادتها منهم وبمساعدة امراء الشيخان الذين لم يعترفوا بالجليليين ورفضوا طاعتهم ودفع الضرائب لهم ، فظلت امارة بادينا هي المسيطرة عليها وعلى دير الربان هرمز والقرى الزراعية في السهل رغم تبعيتها رسمياً للموصل[٣٩] .

ان الخلاف والتناكر والتباغض بين الامارتين لم يكن سببه امارة الشيخان ومنطقة القوش فقط ، بل ان ضعف الدولة العثمانية كان سبباً ايضاً وبخاصة بعد فشل اصلاحات عام «١٨٠٧–١٨٠٨ م» ومصرع السلطان سليم الثالث ومصطفى باشا بيرقدار ، ان هذه الاحداث قوت الى مدى أبعد الميول الانفصالية للباشوات والصراع بينهم من اجل السلطة والولايات ، ولما كانت الحكومة المركزية لا تملك لا القوة ولا الامكانات لمقارعة هؤلاء الولاة ، اخذت تحرض الواحد ضد الآخر لأضعافهم مما ادى الى تفاقم الفوضى العامة[٤٠] فتسعير الخلافات بين الموصل والعمادية واستمراريتها كان من صنع سياسة ولاة بغداد ، الذين كانوا يحصلون من وراء هذه السياسة على اموال طائلة لأن عزل ونصب حكام الامارتين كان منوطاً بهم آنذاك ، صحيح ان البابَ العالي هو الذي كان يرسل باشا الموصل ولكنه كثيراً ما كان يضطر حذراً من اغاظة باشا بغداد الى عزل او نصب من يطلب هذا الباشا اقصاءه او توليته[٤١]

وكان هدف هذه السياسة منذ القرن الثامن عشر هو توحيد العراق بأكمله تحت سيطرتهم ، لكن الظروف الطارئة كانت تحول دون تحقيق هذا الهدف ، فلكي لا تتحول احدى الاسرتين الى قوة مؤثرة في المنطقة وتصبح تابعيتها اسمياً للدولة شجع ولاة بغداد التنافس والتحاسد بين الموصل والعمادية ، وذلك بأمر الحاكم الجليلي بالهجوم على امارة بادينان بحجة خروج امرائها عن طاعة السلطان وبالعكس ، ففي سنة ١٨٠٩ مثلاً ، اوعز سليمان باشا والي بغداد الى زبير باشا امير بادينا بتحريض الداسنية لمحاربة اهالي الموصل ونهب قراهم ، وكان داود باشا يرى في بقاء حكم الجليليين ضعيفاً مهزوزاً على الموصل ضماناً لاستمرار نفوذه وسيطرته عليها ، لانه كان عازماً على انهاء استقلال الموصل المحلي تمهيداً لوضع العراق بأجمعه تحت ادارته[٤٢] فعندما كانت تخضع امارة بادينان لولاة بغداد ، كان يزيد ضغطها على ولاية الموصل ، وتكسب بغداد حليفاً جديداً لذا كان يشتد تنافس ولاة بغداد والموصل على كسب امراء بادينان كل الى جانبه احياناً ، وهذا يفسر لنا ازدياد تدخل نعمان باشا الجليلي في شؤون بادينان عام ١٨٠٧–١٨٠٨ وتحريض ولاة بغداد وبادينان الداسنيين على مهاجمة ولاة الموصل ، وسياسة ولاة بغداد كانت احياناً تنحصر في ضرب الموصل ببادينان وبالعكس لأضعافها واستمرار نفوذهم في الامارتين .

نهضة امارة سوران :- ان نهضة امارة سوران كانت سبباً آخراً ساهم في سقوط امارة بادينان ، ففي الوقت الذي كانت الخلافات قد انهكت الاسرتين البابانية والبادينانية وحطت من شأن امارتيهما كانت امارة سوران تنهض من بينهما بقيادة الامير محمد باشا الكبير «ميري كوره» الذي تسلم السلطة في حدود عام ١٨١٥ وعمل منذ اللحظة الاولى على القضاء على خصومه وتقوية عاصمته راوندوز وشراء الاسلحة وتصنيعها واقامة القلاع والحصون والسعي الى توحيد القبائل والامارات الكردية تحت سيطرته ، ولتوسيع سلطته قام بسلسلة غير منقطعة من الفتوحات ، فأخضع قبائل الشيروان وبرادوست والسورجي ودزه يي واخذ اربيل والتون كوبري من والي بغداد وهاجم امارة بابان واقتطع منها رانيه وحرير وكويسنجق وامتد نفوذه الى نواحي سلدوز «سندوس» ولاهيجان وقتور شمالاً وشرقاً ، واخذ ينتظر الظروف الملائمة لتوسيع مملكته غرباً بالاستيلاء على امارة بادينان ، فباتفاق العديد من المؤرخين كان ميري كوره يهدف الى خلق او تأسيس دولة اقطاعية كردية مستقلة في كردستان[٤٣] وعندما تهيأت له الظروف انقض على امارة بادينان وضمها الى ممتلكاته في ربيع عام ١٨٣٢ .

سياسة الامارة تجاه العشائر : ان حوادث النزاع الاسري كما تدل عليه الاخبار ، كانت منحصرة بالاسرة الحاكمة في بداية الامر ولم يشارك فيها أحد ، وكانت العشائر في معزل عنها تقريباً ، ولكن استعانة بعض افراد العائلة الحاكمة بالعشائر في تحقيق اهدافهم كان سبباً آخر في سقوطهم ، فقد ادت هذه السياسة

الى فقدان الأمن وفساد الادارة وصعوبة تطبيق القوانين واضعفت من هيبة الدولة وحصانة الامراء في نظر العشائر التي خرجت من الطوق لتساهم في عزل ونصب وقتل وسجن الامراء ، كما ادى هذا ايضاً الى تمزيق القبائل وانقسام العشيرة الواحدة على نفسها بسبب تأييد ومعاداة هذا الامير او ذاك ، وفقد الامراء سيطرتهم وفشلوا في فرضها فكان موقفهم من المعارك الدامية بين تلك العشائر موقف المتفرج الذي لا حول له ولا قوة ، واذا اراد احدهم الامساك بزمام الامور وفرض هيبته وذلك بكبح جماح العشائر ومنعها من التدخل لاعادة النظام الى الامارة ، كان لابد له ان يستعين بتحريض عشيرة على اخرى .

وكانت عشيرة المزوري اكثر العشائر البادينانية تدخلاً في شؤون الامارة . وهي اقدم واقوى العشائر في المنطقة ورد ذكرها في الشرفنامه وبين انها عمدة عشائر بادينان آنذاك ، وتسكن هذه العشيرة الآن في ثلاث محافظات هي نينوى ودهوك واربيل ، والمزورية ينقسمون الى اربعة اقسام اهمها عشيرة «الاركوش ، الالكوشي» وكانت اكثرها فعالية واعظمها قوة فمنها ظهر «مير ملك» اعظم زعيم عرف في بادينان وملا يحيى المزوري العالم الكبير وعمه علي آغا البالطي [٤٤] وبسبب مكانة هذه العشيرة كان رئيسها يدخل بعد الكهية «رئيس الوزراء» على الامير عند عقد الاجتماعات ويتخذ مجلسه الى جانبه «الكهية» ثم يدخل رؤساء القبائل وفق مكانة قبائلهم [٤٥] .

لقد حاول بعض الامراء الحد من نفوذ قبيلة المزوري وذلك بالاستعانة بالداسنيين واحياناً بعشيرة الدوسكي ، وكان الداسنيون يشكلون القوة العشائرية الثانية في الامارة ، فهذه الطائفة الدينية وبسبب اضطهادها ومعيشتها في وسط اسلامي ، قد تقولبت الى قبيلة واحدة تخضع جميع عشائرها لأمير باعذره ، والداسنية خضعوا لأمارة بادينان منذ بداية القرن السادس عشر عندما استولى الأمير حسن على دهوك مركز امارة داسن آنذاك ، وكانوا يحتلون المكان المناسب في الامارة ، وشكل الامير البادينى مراد خان جيشاً خاصاً منهم سلم قيادته الى أحد أشجع امرائهم المدعو ميرزا بك داسني باشا [٤٦] .

ان سياسة اثارة الصدام بين هذه الطائفة القوية والمزورية والتدخل في شؤونها كانت اخطر ما أقدم عليه امراء بادينان لأنها ادت بحياة امارتهم ، فلأول مرة في تاريخ الطائفة يتدخل امير مسلم في عزل ونصب امير للداسنية والتقليد الديني لا يجوزه ، حدث هذا عام ١٧٩٠ عندما قتل اسماعيل باشا امير الداسنية «جولوبك» واخاه ونصب محله خنجر بك ثم عزل الاخير وصادر امواله وعين محله «حسن بك بن جولو بك» كان هذا بسبب انضمام الداسنية الى منافسة في الحكم بيرام بك [٤٧] ويظهر ان سبب هذا القتل والعزل والنصب ايضاً ، ان جولو بك رفض ان ينفذ رغبات الامير البادينى في معاداة جيرانه المزورية ، وان خنجر بك لم يكن كفوءاً للقيام بتلك المهمة ، اما حسن بك فكان رجلاً ماكراً وفي عهده تردت العلاقات بين الداسنيين والمزورية ، لانه منع المزورية من التردد الى السهل لبيع وارداتهم ومنتوجاتهم الجبلية وشراء منتوجات السهول والتجارة مع الداسنيين ، مما ادى الى غضب عشيرة «الاركوشي» القوية في ذلك الوقت فهاجمت قرية «كاباراء» الداسنية واشتبكت مع داسني المنطقة وراح ضحية المعركة اكثر من مئة قتيل وتم الصلح بين الطرفين بعد ثمانية شهور [٤٨] ولم يدافع اسماعيل باشا عن مواليه من الداسنيين عند هجوم والي بغداد عليهم عام ١٧٩٨ ، وفي هذه السنة وبسبب من خلافات الامراء نشبت المعارك بين قبائل المزوري والدوسكي ايضاً . دامت فترة حكم اسماعيل باشا ثلاثين سنة تميزت بالفوضى وعدم الاستقرار .

وفي عام ١٧٩٩ ثار حسن بك امير الشيخان على الامير قباد بك بسبب ظلمه وجوره ، فأرسل الاخير الى والي الموصل محمد باشا الجليلي يستمد منه عسكراً فبعث له الوالي الجليلي ما اراد .

كان قباد بك حاكم زاخو يناوئ ابن عمه امير العمادية مراد باشا ويحاول اسقاطه بواسطة العشائر ، لكنه لم يحصل على طائل ولم تتابعه القبائل لفرط ظلمه وجوره [٤٩] ففي حدود عام ١٨٠٠ اراد الصلح مع حسن بك . . فاستدعاه مع بعض اقاربه الى

زاخو وطلب منهم ان يتفقوا معه لمناوأة مراد باشا ، فعندما امتنعوا قتلهم جميعاً في داره ضارباً القيم واصول الضيافة عرض الجبل .

وعندما اصبح قباد بك هذا اميراً لبادينان هاجمه المزورية عام ١٨٠٦ ليلاً وهو في قرية «بيبافا» فالقوا القبض عليه وحملوه الى العمادية وسجنوه ونهبوا امواله واموال مواليه وعينوا عادل باشا محله[٥٠] .

وفي عام ١٨٠٩ أمر والي بغداد سليمان باشا أمير الداسنية ان يهجم على ولاية الموصل ، فلم يمتثل لأمره فأرسل الى والي العمادية زبير باشا يأمره ان يرسل احدى العشائر الداسنية لمحاربة اهل الموصل ونهب قراهم ، فبعث اليهم زبير باشا يأمرهم بذلك فأبوا وابعدوا عن منازلهم ولم يعملوا بقوله[٥١] . وخوفاً من اثارة عواطف المسلمين ومشاعرهم الدينية والدولة العثمانية التي كانت مستعدة في اي لحظة ان تصدر الفتاوي في اباحة قتلهم وسبيهم ، كان يحجم امراء الداسنية عن تنفيذ رغبات ودسائس امراء العمادية وولاة بغداد . . وادت هذه السياسات الى انشقاق امراء الشيخان «اليزيدية» وزعمائها الصغار على انفسهم وانضمام قسم كبير منهم الى والي الموصل لأنهم فقدوا ايمانهم بالاعتماد على حليف لا تهمه سوى مصالحه[٥٢] واضطر بعضهم احياناً الى تلبية رغبات الامير البادينى كارهاً ، وبهذه الطريقة كان الامراء المسلمون يلبسون هذه الطائفة جرائمهم بدفعهم للقتل والنهب[٥٣] فكان اضطهادهم وقتل امرائهم والتدخل في شؤونهم حتى الدينية منها ، اذن حصيلة التناقضات والخلافات بين امراء العائلة الحاكمة من جهة وخلافات الامير البادينى مع المزورية وولاة الموصل وبغداد من جهة اخرى .

«المصادر والمراجع والهوامش»

١ – عباس العزاوي : – تاريخ العراق بين احتلالين ج٤ ص ٦٤ – ٦٥
محفوظ عمر العباسي : – المصدر السابق ص ١٧ .
٢ – شرف خان البدليسي : – المصدر السابق ص ١٠٢
● انهى البدليسي كتابه الشرفنامة عام ١٥٩٦ . ويظهر انه كتب الفصل الخاص بامارة بادينان في حدود عام ١٥٨٥ حيث يتوقف عن ذكر تفاصيل احداث للامارة . وكان معاصراً للامير البادينى سيد خان المتوفي سنة ١٦٢٠ م .
٣ – شرف خان البدليسي : – المصدر نفسه ص ١٠٢
٤ – دبليو . أي . ويكرام : – مهد البشرية الحياة في شرق كورد ستان ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٧١ ، ص ١٠٥ ،
٥ – شرف خان البدليسي : – المصدر السابق ص ١٠٢
٦ – شرف خان البدليسي : – المصدر نفسه ص ١٠٢
● هناك عشيرة كردية تقطن سوريا وجزيرة بوتان اسمها عباسان او عباسيان «أباسيان»
٧ – كلوديس جيمس ريج : – المصدر السابق ص ١٠٧
٨ – صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٩
٩ – المرجع «٣» ص ١١٩
١٠ – كلوديس جيمي ريج : – المصدر السابق ص ١٠٧ – ١٠٨ ، والمقصود هو زبير باشا .
١١ – المرجع «٣» ص ١٨٠ – ١٨٢ . . .
١٢ – كلوديس جيميس ريج : – المصدر السابق ص ١٠٧
١٣ – كلوديس جيميس ريج : – المصدر نفسه ص ١٠٧
١٤ – ياسين افندي ابن خير الدين الخطيب العمري : – غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر ، عنى بطبعه ونشره د . محمد صديق الجليلي ، الموصل ١٩٤٠ ، مطبعة ام الربيعين ص ٦٦
١٥ – صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٦١ ، كذلك محفوظ عمر العباسي : – المصدر السابق ص ١٧٢
١٦ – محمد احمد مصطفى الكزني : – المصدر السابق ص ٧٠ ، ٨٢
١٧ – عبد الكريم المدرس : – تذكار الرجال . . . ص ٤٢١ – ٤٢٢
● يروي المسنون البوتانيون انه في عهد اسماعيل باشا الاول هاجرت الكثير من الاسر البوتانية من جزيرة بوتان ، هرباً من ظلم السلطان العثمانية ، الى بادينان وحلت لاجئة في اطراف «سميل» ولم يمض على استقرارها وقت طويل حتى اخذ اسماعيل باشا يطالبهم بالجزية «زيره سه راتا» فترك البوتانيون بادينان على اثر هذا الطلب .
١٨ – رغم هذا فقد نالت هذه الامارة حظها من الدراسات والتآليف اكثر من غيرها فبالاضافة الى المراجع الثلاث التي اعتمدنا على «المالي ، الدملوجي ، العباسي» ذكر المرحوم عباس العزاوي انه الف كتاباً في تاريخ العمادية لا يزال مخطوطاً نرجو من نجله الاستاذ فاضل العزاوي ان يدفعه الى النشر كما ذكر الاستاذ كريم فندي الدوسكي في مقابلة لمجلة كاروان العدد «٣٠» معه انه بصدد تأليف كتاب عن امارة بهدينان .
١٩ – شرف خان البدليسي : – المصدر السابق ص ١٠٤
٢٠ – س . هـ . لونكريك : – المصدر السابق ص ١٩ ، ٦٠ كذلك : على

سيدو الكوراني : – المصدر السابق ص ١٧٢ – ١٧٣

● للمزيد من المعلومات عن اتفاقية «ادريس – سليم» انظر : عبد الفتاح علي يحيى : – مجلة كاروان العدد ٢٤ ، بحث بعنوان «ادريس البدليسي دوره واثره في التاريخ الكردي» باللغة العربية .

٢١ – عماد عبد السلام رووف : – الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ١٧٢٦ – ١٨٣٤ ، مطبعة الاداب النجف ، ١٩٧٥ ، ص ١٦١ – ١٦٢

٢٢ – عباس العزاوي : – تاريخ العراق بين احتلالين ج٤ ص ٦٥ وانظر : س . هـ . لونكريك : – المصدر السابق ص ٦٠ ، وانور .

٢٣ – شرف خان البدليسي : – المصدر السابق ص ١٠٥

٢٤ – محمد امين زكي : – تاريخ الدول والامارات الكردية ، ترجمة محمد علي عوني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٧ ص ٣٩٣ – ٤٠٢

٢٥ – شرف خان البدليسي : – المصدر السابق ، ترجمة جميل بندي روزبياني ، مطبعة النجاح ، بغداد ١٩٥٣ هامش ص ١٤٢

٢٦ – المرجع ٣ : – ص ١٢٩

٢٧ – صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٢٢

٢٨ – ياسين افندي العمري : – المصدر السابق ص ٧٠

٢٩ – دومينيكو لانزا : – الموصل في الجيل الثامن عشر ترجمة القس روفائيل بيداويد ، مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٥١ ، هامش ص ٥٦

٣٠ – المرجع «٣» : ص ١٥٥

٣١ – دومينيكو لانزا : – المصدر السابق ص ٥٧

٣٢ – محفوظ عمر العباسي : – المصدر السابق ص ٨٣ . كذلك : س . هـ . لونكريك : المصدر السابق ص . ٢٥٠ – ٢٥١ .

٣٣ – علي سيدو الكوراني : – المصدر السابق ص ١٧٢ – ١٧٣

٣٤ – س . هـ . لونكريك : – المصدر ص ٢٤٨

٣٥ – علي شاكر علي : – تاريخ العراق في العهد العثماني «١٦٣٨ – ١٧٥٠» ، مطبعة او فسيت الشعب ، بغداد ١٩٨٥ ص . ١٧٠ .

كذلك انظر : علاء موسى كاظم نورس : – المصدر السابق ص ١٧٦

٣٦ – دومينيكو لانزا : – المصدر السابق ص ٥٧

● نافكر «ناوكر» : القرى الواقعة بين نهر الكومل والخازر وهي تابعة لقضاء الشيخان .

٣٧ – المرجع «٣» : – ص ١٥٦ – ١٥٧

٣٨ – محفوظ عمر العباسي : – المصدر السابق ص ٩٨ – ١٠١ ، كذلك صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٢٤

٣٩ – ياسين افندي العمري : – المصدر السابق ص ٧٠ كذلك صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ٢٢ – ٢٣ ، ٤٠ – ٤١ وعماد عبد السلام رووف : – المصدر السابق ص ١٧٤

٤٠ – ف . ب . لوتسكي : – تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة د . عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٠ ص ٨١

٤١ – دومينيكو لانزا : – المصدر السابق ص ١٥

٤٢ – عماد عبد السلام رووف : – المصدر السابق ص ١٥١ ، ١٦٣ – ١٦٥ علاء موسى كاظم نورس : – المصدر السابق ص ١٨٢

٤٣ – ن . أ . خالفين : – الصراع على كردستان ، ترجمة د . احمد عثمان ابو بكر ، مطبعة الشعب ، بغداد ١٩٦٩ ص . ٥

٤٤ – صديق الدملوجي : – المصدر السابق ص ١٠٥ – ١٠٩ . ومن اشهر فروع عشيرة المزوري : الشمكان ، الشرفان ، باناني ، المانا ، هاجان ، زيدكي ، الكوفه ني ، خازيا . . .

٤٥ – كلوديس جيمس ريج : – المصدر السابق ص ١٠٧

● الداسنية قبيلة كانت معروفة في انحاء الموصل سميت بهذا الاسم نسبة الى جبل «داسن» وهو جبل المزورية واسم اليزيدية طراً عليهم ، ويقول الدملوجي : ومن الصواب ان نعدهم مزوريين فأقدس مقدساتهم تقع وسط هذه الجبال في وادي «لالش» ومنطقة الداسنية معتنق الديانة اليزيدية كانت تشمل سابقاً ، المنطقة من غرب الزاب الكبير حتى جنوب العمادية ، وكانت نفوسهم قبل قرنين من الزمان مليوناً وربع المليون نسمة ، لذا كانوا قوة مهابة يمتد نفوذها من سوران الى نهر الخابور على شكل قوس كبير حتى سنجار بما في هذه المنطقة الواسعة من ناحية السورجية وعشائر السبعة وقضاء الشيخان وجبل مقلوب وناحية السليفاني وكانت دهوك أهلة بهم ، اضافة الى وجودهم في ديار بكر وحلب وبوتان وبدليس ووان . . . لذا كانت الدولة العثمانية تعتمد عليهم كثيراً . . . ، لكن فشل الامير حسين بك داسني الذي عينه السلطان سليمان القانوني على امارة سوران في الاحتفاظ بها ادت الى تحول الدولة عنهم والاعتماد على امراء بادينان منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي تقريباً .

٤٦ – المرجع «٣» : – ص ١٤١

٤٧ – دومينيكو لانزا : – المصدر السابق ص ٥٧ كذلك انظر : د . سامي سعيد الاحمد : اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٧١ – ج١ ص ٨٨ ، وياسين افندي العمري : – المصدر السابق ص ٢٦ – ٢٧ ، ومحمد امين زكي : – المصدر السابق ص ٣٩٦

٤٨ – شاكر فتاح : – ايزيديون والدين اليزيدي ، مطبعة كامران ، السليمانية ، ١٩٧٠ ، ص ١١٠ «باللغة الكردية»

٤٩ – ياسين افندي العمري : – المصدر السابق ص ٥٣

٥٠ – ياسين افندي العمري : – المصدر نفسه ص ٦٦ كذلك انظر محمد امين زكي : – المصدر السابق ص ٣٩٧

٥١ – ياسين افندي العمري : – المصدر السابق ص٩٥ – ١٠٠ كذلك شاكر فتاح : – المصدر السابق ص ١١٠ – ١١٢

٥٢ – عماد عبد السلام رووف : – المصدر السابق ص ١٧٧ – ١٧٨

٥٣ – شاكر فتاح : – المصدر السابق ص ١١٠ – ١١٢ .